ندوة « الأدب والاجيال الجديدة »

عندما هبط المندوبون الى « ندوة الادب والاجيال الجديدة »الى ارض مطار مانيلا ، في الفيليبين ، كانت في انتظارهم عقود الفل الابيض التقليدية ، تطوق اعناقهم بها فتيات الفيليبين الجميلات التقليديات، يبتسمن ابتسامات الترحيب التقليدية . نعم . كان في الندوة كثير من العناصر التقليدية التي يعرفها المشاركون في المؤتمرات والندوات الدولية ـ وهي اجتماعات تتكاثر بل تتفشى اليوم على نحو ينذر بالقلق ، المناقشات فيها تتكرر وتتشابه ، والاوراق تتضخم بل تتفاقم، والوجوه نفسها تظهر المرة بعد المرة .. اما النتائج الملموسة فمن الطبيعي ان تكون اقل من القليل .. وهو ما لم يفت على بعض المتحدثين في هذه الندوة بالذات ، وبخاصة في جلستها الختامية العلنية التي هبت فيها حقا انفاس طرية منعشة تدل على يقظة بعض الكتاب الى هذا الخطر من تكرار الذات واجترار الكلمات . فقد كانت هنا اذن ـ على الرغم من كل شيء ـ عناصر غير تقليدية ، ومثيرة للفكر: دلائل على الحيوية والتململ الخصيب تتلاقى من كتاب جاءوا ـ على غير معرفة سابقة احدهم بالآخر ـ من سنغافورة ومن سيراليون ، من الفيليبين ومن فلسطين ..

انعقدت الندوة في اطار اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين ، بعد اقل من شهرين من انعقاد ندوة المجلات الادبية في بيروت ، وحضرها نحو ثلاثين كاتبا جاءوا من ١٨ بلدا من افريقيا واسيا ، ونحو ١٥ مراقبا جاءوا من منظمة الوحدة الافريقية ومن ثمانية بلاد في اوروبا وامريكا واستراليا . وكان الوفد الفيليبيني ـ كالعادة ـ مكونا من ٦٣ مندوبا ، ومندوبا بديلا ، ومراقبا ، وضيفا .

وكان جدول اعمالها ، بعد التعديلات الاخيرة التي اجريت في جلسة عقدها رؤساء الوفود بعد ظهر الخميس ٣٠ يناير سنة ١٩٧٥ عشية افتتاح الندوة هو :

اولا ـ آداب افريقيا ودورها في تعزيز السلم العالمي والنضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية، وفي توطيد الوحدة الوطنية ، وحق تقرير المصير ، والعالم الروحي للقراء الافريقيين الاسيويين .

ثانيا ـ دور الادب التقدمي ووسائل الاعلام الجماهيري في افريقيا واسيا بالنسبة للاجيال الجديدة » .

وفي هذه الجلسة ايضا ـ كما جرت تقاليد اجتماعات منظمة التضامن الافريقي الاسيوي واتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين ، انتخبت ـ او اقرت ترشيحات ـ رئاسة الندوة ورئاسات الجلسات ولجنة صياغة البيان الختام .

وبذلك اقر ترشيح السيدة ايميلدا ماركوس ـ زوجة رئيس جمهورية الفيليبين وسيدتها الاولى ـ رئيسة شرف للندوة ، واقر ترشيح ادريان كريستوبال ـ وهو السكرتير العام المؤقت لاتحاد كتاب الفيليبين ـ رئيسا للمؤتمر ، اما نواب الرئيس فهم اناتولي سوفرونوف (الاتحاد السوفييتي) وغان ديورومينجوس (انجولا) وسهيل ادريس (لبنان).

وسرعان ما انقضت هذه الجلسة التمهيدية ليفرغ الكتاب الوافدون ـ والكتاب والمنظمون والمضيفون والمضيفات من اهل البلاد ـ الى اول اوجه « البرنامج الاجتماعي » الحافل الحاشد الذي حلقاته تدور بلا هوادة طوال ايام اقامتنا في الفيليبين، و« البرنامج الاجتماعي » هو التعبير التقليدي الرسمي عن سلسلة الدعوات الى الحفلات والمآدب، والولائم المفتوحة ، وزيارة الاثار والمعالم السياحية وعروض الرقص الشعبي ، والرقص غير الشعبي ، (كان هناك ايضا عرض للازياء وبتحديد اكثر لازياء « اللانجيري » النسائية جاء صدفة عقب غداء على سطح هيلتون مانيلا وصاحبته جوائز فاز بها ، بالقرعة بعض كتاب افريقيا واسيا !). واستمر عشاء فندق « الجرانـدي » وعروضه السياحية المترفة ، حتى قبيل موعد حظر التجول الذي يبدأ في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وينتهي الساعة الرابعة صباحا.. فنحن في الفيليبين ، وتحت الحكم العسكري الذي ما زالت له انياب ومخالب ، تحت النعومة الرائعة لكرم الضيافة الباذخة ، ودماثة خلق الناس ، وابتسامتهم التلقائية العذبة ، وفرحهم الحقيقي بلقاء هؤلاء الكتاب القادمين من انحاء افريقيا النائية والبلاد العربية ولها عندهم صورة خرافية مهتزة عن ثروات البترول والحرب مع اسرائيل ومآثر الاسلام (ما اقصر يد الاعلام العربي هنا !) او من اقطار اسيا التي تربطهم بها صلات اللغة والجنس والقربى، وان كانوا ـ ايضا ـ لا يعرفون عن ادابها الا اقل القليل ..

وفي صباح يوم ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ افتتحت الندوة في قاعة « المركز الثقافي » بهندسته المستقبلية التجريدية الخطوط ، الهائلة الجرم ، جاثما على مشارف لسان من الارض مجفف يمتد على خليج مانيلا ، الساجية امواجه ، وقد غاصت فيها ذكريات قدوم التجار العرب القدامى ،« المخدومين » السبعة كما جتري التسمية الفولكلورية عندهم وبلسانهم ، والفتح الاسباني ، ومصرع ماجلان ، والحكم الامريكي، والغزو الياباني ، ومذبحة الحرب العالمية الثانية الفاجعة ، فعلى هذا الخليج انصب من القنابل والقذائف اكثر مما انصب في اية

بقعة اخرى من العالم (فيما عدا وارسو الشهيدة) خلال مقتلةالحرب العالميـة الثانيـة .

وبعد ان ذهب الكتاب الوافدون الى مقر افتتاح ندوتهم ، فسبق موكبهم الصغير سيارات المرور بصفاراتها المميزة تفتح لهم الطريـق ، على الطريقة الامريكية واستقروا في صفين أو ثلاثة من المسرح الفخـم الكبير ، وقد امتلأ بالمدعوين من شباب الفيليبين وكتابها ورجال السلك الديبلوماسي (حرص منظمو الندوة على ان يستثنى من الدعوة سفراء اسرائيل وفيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية والصين « الوطنية ») وبعد ان اقبل رئيس الجمهورية ، وزوجته ، اعلن ادريان كريستوبال افتتاح الندوة ، واخذ يدعو الكتاب الوافدين واعضاء وفد الفيليبين باسمائهم، فيصفق لهم الحاضرون ..

والقت السيدة ايميلدا ماركوس كلمة ترحيب افتتاحية ، وقرئت رسالة السيد يوسف السباعي السكرتير العام لاتحاد الكتاب ـ وقد حالت دونه والحضور اعذار طارئة في اللحظة الاخيرة ، وقرئت رسالة الرئيس السادات الى الندوة ، وارنجل فردبناند ماركوس رئيسجمهورية الفيليبين كلمة طويلة ، وبذلك اختتمت الجلسة الاحتفالية الاولى ، وعاد الكتاب في موكب يشق زحام مرور العاصمة الى الفداء في فندق هيلتون الذي دعاهم اليه وزير العمل والشئون الاجتمـاعيـة كارلـوس روميلو .

كانت رئاسة الجلسة العامة الاولى من جلسات الندوة قد آلت الى فلسطين ، فالقى محمود درويش كلمة قصيرة وحاسمة ، ابرز فيهـا دلالة اختيار فلسطين لرئاسة اولى جلسات الندوة ...

وتوالت جلسات الندوة على مدى يومين ، فرأس الجلسة الثانية كاتب شاب من مالي ، ورأست الجلسة الثالثة الدكتورة سهير القلماوي من مصر ، ورأس الجلسة الرابعة الشاعر الباكستاني الكبير ـ واحد المناضلين من جيل رواد حركة التضامن الافريقي الاسيوي ـ فيض احمد فيض ، اما الجلسة الختامية فقد رأسها مرة اخرى ادريـان كريستوبال .. وطوال هذه الجلسات كان عبد العزيز صادق ، نائب سكرتير عـام الاتحاد يساعد رؤساءها ويبذل جهده في تسيير العمل فيها .

اما لجنة صياغة البيان العام فقد تشكلت برئاسة الباكستـان (فيض احمد فيض) وعضوية : بنجالاديش (كوندكر الياس) والاتحاد السوفييتي (جورام اساتياني) ولبنان (د. سهيل ادريس) ومـالي (جواسو دياوارا) ومصر (د. سهير القلماوي) وفلسطين (محمـود درويش) والفيليبين (ج.ف. كروز) وزامبيا (وليام سيادي) والمكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين (ادوار الخراط) .

قدمت في الندوة الوثائق والابحاث المطبوعة التالية ، وقد حاولت ان اضعها حسب موضوعاتها .

في الموضوع الاول للندوة :

١ ـ اكتشاف وتنمية الادب الاسلامي في الفيليبين .
قدمه اندريس كروز (الفيليبين)

٢ ـ الادب من اجل الوحدة الوطنية .
قدمه رولاندوتينيو (الفيليبين)

٣ ـ القيم الروحية : شباب القراء والكتاب .
قدمه ب. ديمول (الفيليبين)

٤ ـ الادب الافريقي الآسيوي : الحاجة الى رؤية عالمية للسلام
قدمه س. بوتسيتا (الفيليبين)

٥ ـ الادب المعادي للامبريالية والاجيال الجديدة
قدمه اوكوتو ابيالي (النيجيري)

٦ ـ التراث الادبي .
قدمه فيض احمد فيض (الباكستان)

٧ ـ كلمة اناتولي سوفروتوف (الاتحاد السوفييتي)

٨ ـ كلمة جورام اساتياني (الاتحاد السوفييتي)

٩ ـ كلمة بوردان ميليف (بلغاريا)

في الموضوع الثاني للندوة :

١ ـ ادب الاجيال الجديدة
قدمته الدكتورة سهير القلماوي (مصر)

٢ ـ الادب والاجيال الجديدة
قدمه جواسو دياوارا (مالي)

٣ ـ الاهتمام بادب الشباب يعكس روح التواصل من الاجيال
قدمه عبدالله الركيبي (الجزائر)

٤ ـ الادب والاجيال الجديدة
قدمه يوري ريتيكو (الاتحاد السوفييتي)

٥ ـ الادب والاجيال الجديدة
قدمه الدكتور جوه بوه سيينج (سنغافوره)

٦ ـ ادب الاطفال في الفيليبين
قدمته سيريز الابادو (الفيليبين)

٧ ـ دور الادب التقدمي ووسائل الاعلام الجماهيري في افريقيـا وآسيا في مجال ادب النشء .
قدمه عبد التواب يوسف (مصر)

٨ ـ الروايات السينمائية باللغة التاجلوجية ، تصهر جديد
قدمه رافاييل جويرور (الفيليبين)

وتكلم في خلال الجلسات معيـن بسيسو من فلسطين ، وكوندكر الياس (بنجالاديش) وسهيـل ادريس (لبنان) ولـويد فريناندو والبروفيسـور اسماعيـل حسيـن (ماليزيـا) وسيـل شيبيني كوكر (سيراليون) ووليام سيادي (زامبيا) والشاعر الهندي تامبي موتـي القادم من لندن ، كما القت السيدة آن كنفاني كلمة مؤثرة في الجلسة الختامية ، وكان من نجوم الكواليس في الندوة الكاتب الامريكي العجوز المرتفع الصوت ، بشاريه السنجابي ، وليام ساروبان .

يبدأ بحث اندريس كريستوبال كروز ـ وهو كاتب فيليبيني مسلم باسم ، دمث الاعطاف ، نشط وشغوف ، لعب دورا كبيرا في تنظيـم الندوة والعمل في اروقتها الخلفية ، شديد الاهتمام بادبنا العربـي وعالمنا العربي ، بتحية الاسلام باللغة العربية ثم اذا هو يترجمها الى الانجليزية ، ويمضي مباشرة الى القول بان جزر ميندانا « المسلمة » في جنوب الفيليبين ، تجتاز مرحلة تطورات عميقة الاثر فـي الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ثم يبسط تفصيـلا لهذه التغيرات التي تجري تحت جناح « الثورة الديمقراطية التي تقوم بها الحكومـة بقيادة الرئيس ماركوس ، لتثوير مجتمعنا ككل ، والطوائف الاسلامية وغير الاسلامية على السواء » وهـو يعدد المؤسسات التي تقوم بعمليـة التثويـر ، ومنها « مؤسسة تنمية ميندانـا » ، وبنك التنمية فـي الفيليبين ، « وبنك الامانة » الذي ينتهج الشريعة الاسلامية في المعاملات المصرفية ، واكاديمية ميندانا الادارية ، وجامعة الدولة في ميندانا ، والمؤسسات التعليمية والثقافية فيها .

ونحن اذ نستمع الى هذا العرض التفصيلي لا نملك الا ان نضعه في سياق الاضطرابات الطائفية التي ما زالت تدور في جنوب الفيليبين، وان كان لا ينبغي ان يغيب عنا انها اضطرابات تجري ، فـي التحليـل الاخير ، في سياق حكومة وطنية تهدف الى توكيـد الطابـع القومـي للفيليبين وتناهض الآثار الاستعمارية المدمرة للثقافة القومية او المحلية على الاصح ، سواء كانت من تركة الاستعمار الاسباني القديم ـ تحت ستار الكاثوليكية ـ او من تركة الامبريالية الامريكية الحديثة العهـد نسبيا ـ وكلتاهما تركة ثقيلة ترزح الفيليبين كلها تحت بصماتها الفادحة، وقد تغلغلت وتفشت هذه الآثار الى صميم الحياة وبخاصة في المجتمع الحضري . اما اهل الريف والجبال والجزر النائية فهم ـ شان امثالهم في العالم الثالث كله ـ حرس الحضارة القديمة والتقاليد الثقـافية

الشعبية الحية العريقة ، وشأن امثالهم في بلادنا جميعا ، فان الوديعة الغالية التي بين ايديهم تتهددها كل اخطار وسائل الاعلام (البث ـ على الاصح) الجماهيرية تلك نفسها التي كان على الندوة أن تنافشها ، ولكنها لم تمسها الا مسا عابرا (أليست هذه الوسائل في النهاية من طرف واحد هو طرف الارسال فقط ؟ ما دور المتلقي فيها ؟ اقل من القليل !!) ..، هي وديعة ثمينة ولكنها تذبل بضرورة التطور التكنيكي الجارف الذي يجفف عصيرها ..

بعد هذه المقدمة (التي وزعت بعد مرور يوم من تقديم البحث نفسه ، فقد كان (ضروريا) اذن ، في ظل الظروف القائمة ، ان يتم هذا الاستدراك) يبدأ البحث الاصلي الذي كان قد قدم من قبل الى الندوة ، بأن الادب الفيليبيني « المسلم » ما زال في غالبه ادبا شفاهيا، وانه لم يلق تشجيعا الا منذ فترة وجيزة .

ويصنف البحث الادب الاسلامي في الفيليبين الى انواع ، فمنه الصلاة ، وهم يعرفونها باللغة العربية ويطلق عليها باللغة المتداولة « سامبا هاياتج » ومنه الدعاء ، وهم يقرأون الفاتحة ، بالعربية ، بطبيعة الحال ، ويعرفون « الحديث » ويعتزون به ، ويضمنونه خطبة الجمعة ، ويقول البحث أن من طقوس الزواج بين المسلمين في الفيليبين وبخاصة عند « التاوسوج » ان تغني احدى الفتيات « القصة » ونفهم من البحث انها قصة تتعلق بتقاليد الزواج ، وتصاحبها موسيقى الجابانج (او الاكسيلوفون المتخذ من عود البامبو) و (البيولا) (الكمان الشعبي) او السوليتج (او الناي الشعبي)

ثم يمضي البحث الى عرض تاريخي موجز لدخول الاسلام الى الفيليبين ، في منتصف القرن الرابع عشر ، ويلقي الضوء على الحرب المستمرة التي خاضها المسلمون في الفيليبين ، دون توقف ، ضد الغزاة الاسبان حتى نهاية الحكم الاسباني ، ثم يفصل الاسباب التي حالت دون ظهور ادب اسلامي مكتوب ومن ابرزها الافتقار الى لغة واحدة مكتوبة ، والى وسيلة جامعة للتعليم ، ونشوب الصراعات والحروب الاقطاعية بين المجتمعات الاسلامية بعضها البعض ، وبينها وبين الغزاة الاسبان ، مما ادى الى نضوب الطاقات الخلاقة واستنفادها .

ولكن الادب الشفاهي ما زال قائما وحيا ، وثمة جهود لتسجيله واعادة اكتشافه وترجمته ونشره ، والبحث يذكر من انواع هذا الادب : « السلسلة » أو « الترسيلة » وهي حكاية شجرة الانساب وتتبع الاصول و « الفصة » وهي حكاية طويلة تروى حفظا والقاء ، او غناء بمصاحبة الموسيقى ، وتجمع بين الفائدة والموعظة والسلية والتشويق، ومنها قصص الخلق او « الكون » وقصص « الاصول » من نحو قصة « ابينا آدم وامنا حواء » وقصة اصول اشجار الفاكهة والطعام والملابس، وفيها تمتزج نسمات المأثورات الشعبية التاوسوجية القديمة بالعقائد الاسلامية .

ومن هذا الادب ما يعرف بالكاتاكانما ، وهي حكايات الفولكلور الصريح ، حكايات السلاطين والشطار ، ومنه اخيرا الالغاز والاحاجي، والامثال السائرة :« الحب ، كالضحك ، لا يختفي » والحكم المأثورة، « يعرف الناس باصولهم » او « من لا عزم عنده لا مستقبل امامه » ومنها « المالكيماتا » او « الكلام الملغوز ، حيث تقلب الكلمات على وجوهها ، وتحرف ، وتمزج بعضها بالبعض ، وتتداخل المقاطع والحروف ، لاخفاء المشاعر أو اللعب بالالفاظ (وعلى سبيل الاستطراد فان اطفالنا في مصر ما زالوا يعرفون هذا الفن الطريف ، كما عرفناه في طفولتنا ، لست ادري ايعرفه ويمارسه الاطفال في البلاد العربية الاخرى ؟ وهل نعرف كيف نحافظ على الطفولة في هذا الفن الجميل ؟).

ويمضي البحث ـ وقد اخذ ينحو منحى فولكلوريا واضحا ـ الى ما يسميه « رقي الحب » « او تعاويذ الحب » ، وهي تدخل مدخل السحر واستجلاب المحبة ، واخيرا اغاني الحب بانواعها ، وتجري الحكاية بان اصلها اغنية شدت بها ارملة قبطان على سفينة ، فاخذت باعنة قيادتها واخفت نبأ الفجيعة عن بحارته وراحت تشدو بآلام قلبها ...

اما القسم الثاني من البحث فيتناول الادب المكتوب عن المسلمين في الفيليبين ويشير خاصة الى كتابات نجيب صليبي ، وهو مؤرخ امريكي من اصل عربي ، وغيره من الكتاب .. ويخلص في النهاية الى ما يراه الكاتب ضروريا في سبيل انبعث الثقافي لادب المسلمين في الفيليبين .

واضح اذن أن هذا البحث يندرج في سياق اكاديمي ، اخباري ، وفولكلوري ، ومو على قيمته وجدته ، لا يثير قضايا ولا يدعو لمناقشة بقدر ما يسوق معلومات ويكتشف عن وقائع وتواريخ ، وله ، في هذا السياق ، فضله واهميته .

اما البحث الذي قدمه رونالدو نينيو من الفيليبين فانه يبدأ بعبارة شاعرية ،« ليس للاديب في الواقع ، الا غاية واحدة نبيلة : ان يكون رمز وحدة الروح في بلد من البلدان . ان الادب ، اكثر من اي فن اخر ، هو اوضح مرآة لهذه الروح ، واعظمها حظا من الحياة ، لانه يتشكل في اللغة ، وفي اللغة يمكن ان نقرأ حقا سيرة حياة الشعب . في اللغه ينادي الاسلاف الذين لا اسم لهم بعضهم بعضا ، الاسلاف الذين غابوا في طيات الماضي البعيد والذين لم يولدوا بعد في المستقبل المكنون » ...

« او ليس الادب حقا هو ذاكرة الشعب ، متجددة ابدا ؟ »

« ان امتلاك الذاكرة لشيء ثمين . الذاكرة وحدها تهب الانسان الوعي بالذات .

« ليست التقاليد اصفادا تغلل القوى والايدي ، بل هي عقد تتوارثه الاجيال يميد على العنق والصدر ، يعني الجمال والاسم والشرف ... » .

« واذا كنت ازجي الثناء لذلك كله ، فليس معنى هذا انني اغفل عن الاوضاع الخطيرة التي تسود العالم كله او اتجاهل شتى الاشكال التي يتخذها الحزن والاسى في كل ارکان افريقيا وآسيا ، أو انني اخافها ، في بلادي ، وفي بلاد كثيرة اخرى مما يسمى بالعالم الثالث، فانه من المهم ان نذكر انفسنا بان لنا امجادنا الروحية ، وبنفس القدر من الاهمية نبحث عن لقمة الارز نبتلعها ، بينما نغص جلودنا ورؤوسنا بالقروح وتتحلل مفاصلنا وتمزق قلوبنا كاللحم المهترىء من فرط الغليان » .

وتمضي الورقة بعد هذه الشاعرية الخام النبيلة ـ الى فكرتها الاساسية :

« الا يمكن ان يصبح علومنا وتكنولوجيتنا حديثه ، بينما تبقى فنوننا وفلسفتنا محافظة ؟ اي فنوننا نحن وفلسفتنا نحن ؟ وحتى لو كنا ندرس كيف نعيش مع كل ضروب الناس في العالم افليس من الاهم ان نوطد انسانيتنا ، نحن ، الخفيه البارزة ؟ الا ينبغي ان تفهم كل الشعوب الاخرى في العالم جوهرنا « نحن » ؟..

« يفترض كذلك ان الادب ـ وخاصة ادب البلاد الشفراء ومجتمعات الوفرة وعالم الارواح المترفه ـ هو اجمل المعلمين ...

« ومن خلال الادب يمكن ان نتورط في مشاعر الغرباء ، ومشاكل القلوب الغريبة والقرارات التي تضرب بجذورها في تقاليد غريبة، فاذا كنت من سكان الجبال فانت تجد نفسك فجاة هائما على وجهك في مدن الصلب والزجاج والاسمنت والبلاستيك ، والآلية والادوات الحاسبة ، ومن الصعب عندئذ ان تكف نفسك عن القول : ينبغي ان اكون منهم لكي افلت من عالمي : عالم الوحل والبامبو . وفي تفكيرك يصبح معنى ان تكون تقدميا وان تكون غريبا اجنبيا شيئا واحدا . وفجاة يبدو لك طعامك وملابسك وطريقة قص شعرك ولون بشرتك ورذائلك السابقة كلها ، كما لو كانت حواجز ...

« لذلك اجدني مضطرا الى ان اوحي بقيمة التقهقر ، بالنظرة التشاؤمية الى الوراء ، بالرجوع دائما والعودة الى الغش ، حتى لو

كانت الحشرات تاكل هذا العش وتفوح منه رائحة لا تطاق . ذلك ان تبلور الروح ونباتها اهم عندي من التقدم والرقي ... »

« أن من واجب الكتاب حقا ان يحدوا شعبهم الى تجارب جديدة، الى نوافذ وابواب جديدة .. ولكن لا يجب ابدا ، ان يخرجوا من البيت .. لانه ايضا تنزيل من التنزيل أن تحدوهم الجماهير الجاهلة التي هي حقا حفظة الشعور القومي . وسوف نشهد ، في هذا الحداء المتبادل ، الخطوة الضرورية الى الامام ، الحركة الى الامام التي هي ايضا حركة الى الوراء ، كحركة الثعبان . لانه فوق كل شيء ، وبعد الاجتماعات الدولية ، مثل هذا الاجتماع وبعد المعارف الهامة التي يمكن ان نجنيها من اخوننا واخواتنا في اجزاء اخرى من العالم ، فسوف يبقى واجبنا ان نكون لا كتاب العالم بل كتاب بلادنا وجبالنا ... »

« هذا هو عندي التحدي الذي يواجهه كل الكتاب في الاجيال الجديدة : ان يحتفلوا بالحساسية الاصيلة للشعب ، ان يقرروا هويتنا الجوهرية ، ان يحتفوا بلغتنا ويثروها فهي المرآة الوحيدة لهويتنا القومية .

« قد يبدو هذا صبيانيا ... ولكنني ادرك اكثر فاكثر انه ثم فضيلة مثيرة في النمو الى الوراء ... » .

في هذه المقتطفات التي حرصت على ان تكون مستفيضة بقدر الامكان ، من هذا البحث ، برزت قضية اثارت الندوة ، واثارت حولها جدلا انعكس اثره في البيان العام للندوة ايضا ، والفكرة الرئيسية ، كما هو واضح ، هو تاكيد « العودة الى الوراء » اي النكوص الى الذات القومية والاصاخة بالسمع الى النبضات الشعبية والعكوف على لغتها ... وايا كانت شاعرية اللغة التي قدمت بها الفكرة ، فانها من المشاكل الحقيقية القليلة التي تؤرق مثقفينا وكتابنا في كل بلاد العالم الثالث ، وتعرف عندنا بقضية الاصالة في مواجهة المعاصرة ، والتراث في مواجهة التجديد ، والمحلية في مواجهة العالمية ..

شارك في مناقشة هذه الفكرة فيض احمد فيض من الباكستان ، وسهيل ادريس من لبنان ، وبوتيستا من الفيليبين ، ولويد فرديناندو من ماليزيا ..

وكان الاتجاه العام في المناقشة هو ، على العكس ، ضرورة تاكيد التكامل والتضافر الانساني الشامل بين الآداب والخصائص القومية (لويد فرديناندو) وان ابراز الطابع القومي ، والنكهة المحلية هو في ذات الوقت اسهام في ابراز الطابع الانساني للادب والثقافة على السواء ، واثراء له (سهيل ادريس) وان علينا ان نحافظ على الجوانب الحية الفنية « التقدمية » من تراثنا،لا على كل التراث بما فيه من خير وشر (فيض احمد فيض) .

وجاءت صياغة هذه الفكرة في كل من مشروع البيان العام والبيان العام شهادة على وعي المنتدين لاهميتها ...

ثم القيت بعد ذلك ورقة هامة ومثيرة للفكر ، كتبها كاتب فليبيني شاب هو بولديمول ،تناولت موضوع القيم الروحية عند الادباءوالقراء الشبان .

وتبدأ الورقة مباشرة ، على النحو الاكاديمي ، بمحاولة للتعريف :

« أن اصعب مهمة في هذه الورقة هي تحديد ما نعني « بالقيم الروحية » اظن ان كلا منا هنا يعرف ما نعني « بالقيم الروحية » ولكن من الصعب ان نقول بالضبط ما هي هذه القيم . ان الكلمة واسعة المدى ...

« من الممكن ان نفكر في القيم الروحية نقيضا للقيم المادية، ومن هنا فاننا نقلل منها ، ومع ذلك فسوف تظل للكلمة تطبيقاتها العريضة التي تشتمل على قيم خلقية وجمالية وثقافية واجتماعية وفلسفية ودينية . ومن الممكن ايضا ان نفكر في ((القيم الروحية))نقيضا « للقيم الانسانية» او « القيم الهيومانية » والانسانية او الهيومانية « هنا تشير الى تلك الفلسفة او النظرة الى العالم التي تركز كل شيء في الانسان . وفيهذا الفهم للقيم الروحية يتنافض الايمان بالانسان باعتباره الخلاص الوحيد للانسانية مع الايمان بالله باعتباره الخلاص الوحيد للانسان . وهو تعريف أسهل وأقرب الى التناول وبهذا المعنى سوف اتناول الموضوع . أننا نفكر فيما يمكن ان نسميه ايضا « القيم الدينية » وهي في نهاية الامر أكثر القيم الروحية روحية ...

ثم يمضي الورقة الى عرض سوسيولوجي موجز لتاريخ الثقافه في الفيليبين وموقف المثقفين فيها من « القيم الدينية » فقد استقر رأي الكاتب على ان هذه القيم الروحية ـ ويشير الكاتب الى « ان الجامعيين والمتعلمين في بلادنا انما يعيشون في اطار المناهج التعليمية والتقاليد الغربية المادية ، وان ثم احساسا بالخجل من « القيم الروحية » واستهانة بها ، اتباعا للموده الغربية السائدة .. وخاصة بين الشباب : « هناك طلبة جامعيون يعادون القيم الروحية ويعتبرونها نوعا من الخرافه ، بل اداة للقهر .. وهناك عدد كبير منهم لا يبالون بها ، بشكل او بآخر ، الا ان هناك بعضهم ممن يؤمنون بالقيم الروحية ايمانا قويا ولكنهم يخفونها بل يحسون حرجا اذا ما عرف عنهم ذلك ، كما لو كانت هذه القيم وصمة « تشوب سمعتهم ، واهانة لذكائهم . »

« ومع ذلك فان القيم الروحية هي من اقوى القيم التي يؤمن بها الشعب الفيليبيني . وانت ترى ذلك بوضوح في العبارات الشعبية للمسيح والعذراء والقديسين وفي « اعياد » المدن والكنيسة الكاثوليكية. وقد يقال ان الديانة التي تمارسها الجماهير ديانة نظرية ساذجة ، بل قد تكون غير ارثوذكسية وغالبا ما تنتمي الى الخرافة ، وان كانت هذه كلها نقاطا قابلة للمناقشة . أن حقيقة القيم الروحية ، وقوتها، وصدق الايمان بها ، عند الشعب الفيليبيني ، امر لا يمكن نكرانه . » ...

وتمضي الورقة الى مناقشة المسألة ، من وجهة نظر يمكن ان نسميها مرة اخرى ، سوسيولوجية ، ومن منطلق محدد تماما :

« اننا اذا وسعنا معنى « الروحي » بحيث يشمل المجال الفلسفي والاخلاقي والجمالي او ما يسمى عادة « بالثقافي » فاننا نرى بسهولة، ذلك العمى المعاصر الجافي الغليظ امام القيم الروحية ، فيما يسمى بخطط التنمية التي لا تشغلها الا التنمية « السياسية ـ الاقتصادية » للبلاد ..

« ان معظم هذه الخطط تجد نموذجها ومثلها الاعلى في طراز معين من مجتمعات الغرب . وطبيعي اننا نحن غير الغربيين نعجب بالتقدم التكنولوجي الغربي ولكنه اعجاب مشكوك فيه . ان المدنية التي بلغت ذرى لا تضارع من التقدم التكنولوجي اليوم هي التي تتردى في اغوار الجفاف الروحي الذي لا يجدر بنا ان نساوقها فيها . انني وجل من ان غير الغربيين في محاولتهم لتقليد هذا التقدم الغربي ، قد يقلدون ايضا المواقف الغربية المدمرة للروح ، في ظنهم الخاطىء ان هذه المواقف ضرورية « للتقدم » . ونحن هنا في الفيليبين نقترف هذا الخطا ، بلا شك .. »

« هنا في الفيليبين لم تنحدر القيم الروحية الا في الطبقة المثقفة . واخشى ان الراديكالية الظاهرية والجدة الظاهرية تضيف لمعانا جديدا الى هذا المرض الروحي .

« ان هذا القلق الروحي المتفشي في اوروبا وامريكا ما زال لحسن الحظ مقصورا على القلة في هذه البلاد ... » .

وبالطبع فقد اثارت هذه القضية كتابا ، على الاخص ، مثل فيض احمد فيض ، وهو الشاعر اليساري المخضرم ، فقد تناولها بالنقد العنيف مشيرا الى ان « المادية الغربية هي في الواقع الرأسمالية : اما المادية الديالكتيكية فشيء مختلف » .. والى « ان القيم الروحية هي الشكل الاسمى للقيم الانسانية » واكد التفرقة بين القيم الروحية والقيم الدينية ، وبالتالي فقد كانت كلمة فيض الوجيزة ، تعليقا على هذه الورقة ، تأكيدا للمذهب الذي يركز كل شيء في الانسان .. ويرى فيه الخلاص الوحيد للانسان ،كما اشار بول ديمول الشاب نفسه ،

الذي عاد في الجلسة الختامية فاكد اهمية « القيم الدينية » مرة اخرى، واشار الى ان القيم الروحية عنده هي على وجه التحديد القيم الدينية، وانه لا خلاص للانسان الا فيها ، وبهذا لم تصل الندوة الى رأي في القضية ـ ولم يكن مطلوبا ولا ممكنا ان تصل فيها الى قرار بالطبع ـ وان كانت المشكلة قد انعكست ايضا في فقرة وجيزة من البيان العام .

وقد تناول بوتيستا ـ وهو كاتب ناشئ من الفيليبين ـ جانبا من جوانب هذه القضية في ورقة قدمها بعنوان : « الادب الافريقي الاسيوي والحاجة الى رؤية عالمية للسلام » .. فقال :

« ان الكتاب ينبغي ان يوسعوا مدى قيمهم الروحية . ويمكن ان يتم ذلك حتى في وسط الفقر ، لان الكاتب هو الوسيط الاكثر فعالية للتقدم لا بالنسبة للظروف الاقتصادية فحسب بل بالنسبة للظروف الثقافية للبلاد . لا يعني ذلك ان الكاتب ينبغي ان يهمل مشاكل الجسم ويعكف على مشاكل الروح .. الواقع ان هذين النوعين من المشاكل مترابطان : فاذا كان للكاتب رؤية عالمية فلا شك ان لديه ايضا معرفة وافية بالقيم الروحية . ان الرؤية العالمية تشتمل على القيم الروحية .. وسوف يعرف الكاتب عندئذ انه لكي يحسن فهم موضوعه فعليه ايضا ان يفهم الفروق بين ديانتهم وفلسفتهم . وميتافيزيقيتهم ، وبين فلسفة وديانة وميتافيزيقيا الشعوب الاخرى . وسوف يدرك انه حتى لو كانت هناك فروق بين الشعوب في هذه الميادين ، فان هناك بنية واحدة اساسية بين الشعوب جميعا ، في هذه المجالات ، في انسانيتها وفي اهدافها .. ان ميتافيزيقا الحب هي ايضا ميتافيزيقا الجوع . ولو ترجم ذلك الى الادب ، فان له معنى عالميا واحدا : معنى سوف يوضح الوحدة الجوهرية للانسانية ، والاخوة العالمية ، وسوف يعكف على كرامة الانسان وكرامة العمل ، وحق كل انسان في البحث عن السعادة ، وتحسين حياته .. »

وقد كانت مشكلة « الفقر » في العالم الثالث ـ تلك التي اشار اليها بوتيستا ، مثار تعليقات هامة ، ففي الجلسة العامة الاخيرة تكلم وليام سايدي من زامبيا ، على نحو مؤثر ، وبعد ان ازجى التحية الى استقلال انجولا الوشيك (في ١١ نوفمبر ١٩٧٥) باعتباره حدثا عظيما بالنسبة لكل كاتب ، ولكل الانسانية ، تطرق الى قضية « الفقر » في بلادنا ، فقال ان بلاده ، زامبيا ، وهي اكبر البلاد المنتجة للنحاس ، ما زالت من اكثر بلاد افريقيا فقرا ، ودعا الى اهتمام الكتاب بهذه القضية قبل اهتمامهم بأي شيء اخر . وقال « ان دخول المسيحية الى زامبيا افضى الى ظهور اسطورة ان الفقر فضيلة ، وان ملكوت السماء للفقراء والذين يقبلون الفقر ، ومن ثم نشأ الافريقيون ، في ظل الاستعمار ، على اساس الا حاجة بهم الا الى كلمة الله ، وما من حافز اذن يدعوهم الى التزود بالثقافة ، ولا الى خوض النضال ضد الواقع المشين المهين ، وطالما آمن الافريقي بعالم الروح فما من حاجة به الى النضال .. ومن حسن الحظ ان العقل قد انتصر ، وان الاستقلال قد تحقق. ان مهمة الكاتب الاولى عندي هي ان يلقي الضوء على الفقر المدقع في بلادنا . قد نحتفل باستقلالنا ، وقد يسعدنا ان نحصل على الانجازات التكنولوجية ، ولكننا لا يمكن ان ننسى ان الفقر ما زال ساندا : الفقر بمعنى العوز الى مجرد اللقمة . يجب ان نكشف قناع الفساد عن وجوه بعض حكامنا اليوم . يجب ان نكشف قسوة نظم الحكم التي تسمح ببقاء البؤس والفقر الذليل في بعض البلاد الافريقية الاسيوية ، ولا اخلاقيتها ... » .

وفي هذا المجال نفسه تكلم الدكتور جون بوه سينج من سنغافورة، في الجلسة الختامية ايضا ، فقال انه احس ان موضوع الندوة كله لا معنى له ، فلا يوجد ادب للاجيال الجديدة كما انه لا يوجد ادب للاجيال السابقة ، ليس هناك الا احد شيئين اما « ادب » واما « هراء » ،اما اذا تعلقنا باذيال الادب فيمكننا ان نقول ان هناك « ادبا جيدا » وادبا غير جيد . ان الادب يضم الجغرافيا والتاريخ والزمن والجنس . الادب العظيم يتغلب على الحواجز الزائفة بين الحدود السياسية والفروق الايديولوجية والتصنيفات بكل انواعها . اما التقسيم الحقيقي فهو التقسيم بين الاغنياء والفقراء ، يجب ان تشن الحرب على الفجوة بين الاغنياء والفقراء .. واما المشكلة الثانية فهي التفرقة العنصرية والجنسية ، يجب ان نحطم هذه التفرقة . يجب ان نواجه مشكلاتنا الحقيقية ، مشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، مشكلات التحديث والمعاصرة ، ضمان الغذاء والمسكن والثقافة لكل انسان ، لكي نوفر لكل انسان كرامته . يجب ان نتعلم من المشكلات التي نجمت عن اساليب التنمية الغربية : مشكلات الاغتراب والتلويث والثقافة الاستهلاكية .

ومن الملحوظ ايضا ان مشروع البيان العام، وقد شرف كاتب هذه السطور بصياغة مسودته ـ كان يتضمن شيئا من هذه الافكار على النحو التالي :

« لقد اتجه الرأي في الندوة الى انه مما يزيد ادابنا خصوبة :

ان نحافظ على القيم الثقافية والحضارية العريقة التي حرصت عليها شعوبنا وجماهيرنا في الوقت نفسه الذي تطور فيه هذه القيم وتجددها بما يتفق مع تحديات عصر التقدم التكنولوجي والعلمي الخارق المتسارع الايقاع . »

« وان تؤكد القيم المحلية والمذاق الخاص والجو المميز للاداب والثقافات الوطنية في الوقت نفسه الذي تتفتح فيه على الافاق الانسانية العريضة والمشاكل التي تتعلق بالانسانية ككل . »

« وان تفيد من القوة الخارقة للوسائل التكنيكية المتقدمة وتستخدمها بروح من الثقة والابتكار في الوقت نفسه الذي تنزع فيه عن هذه الوسائل ضراوة العدوان على الروح الانسانية وتجردها من خصائص شبه الثقافة الاستعمارية الجديدة : الاتجاه الى الاتجار بالقيم وتشجيع شراهة الحوافز الاستهلاكية . » .

« وان تعمل باستخدام كل هذه الوسائل التكنولوجية على تعميق روح المبادرة والايجابية والتفاؤل والفرح بالحياة في الوقت نفسه الذي تعمل فيه على تأكيد اهمية الكلمة المطبوعة الى جانب الاذاعة والتليفزيون والسينما وعلى الارتفاع بمستوى الجاذبية والمقدرة على الوصول لهذه الوسائل جميعها . »

« وان تنفتح على روح التجديد والخلق والطليعية في الادب الجديد في الوقت نفسه الذي تحتفظ فيه لهذا الادب بمضمونه الانساني الايجابي المتعدد الجوانب وان تعمل على توسيع قاعدة النشر والطباعة والتوزيع في الوقت نفسه الذي تصون فيه تراث التقاليد الشفاهية والادب الشفاهي الفني الذي تتناقله شعوبنا جيلا بعد جيل . »

« وان تكشف عن الاسباب العميقة للفقر المادي والروحي الذي انزلته بشعوبنا المحنة الاستعمارية المظلمة الطويلة في الوقت نفسه الذي نزع فيه القناع عن الفنى الاصيل الكامن والباقي ابدا في ضمير شعوبنا وذاكرتها التي لا تموت . »

« وان تنمي روح التعاطف والتقارب والتواصل لا بين الاجيال المتعاقبة فحسب بل بين شعوبنا بعضها البعض وبين الناس جميعا في كل مكان وزمان في الوقت نفسه الذي تحارب فيه نزعات شبه الثقافة الامبريالية والاستعمارية الجديدة التي تعمل على تنمية التشاؤم ، والوحشة ، والاغتراب ، والانعزالية ، والعدمية ، والتلوث البيئي والروحي على السواء ، والتسلية الخاوية من كل معنى ، وتشويه القيم الانسانية للجنس ، وترويج الادب المكشوف وبخاصة بالنسبة للاجيال الجديدة . »

« ان الندوة بعد دراسة الابحاث المقدمة اليها ومناقشتها ترى ضرورة القيام بكل ما يمكن بذله من جهد في كل المجالات لحل المشكلات الاساسية التي تواجه شعوبنا وتؤثر على ثقافتنا وآدابنا : مشكلات التحرر والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتحديث ، ضمان الغذاء

والمسكن والتعليم ومحو الاميه ، حفاظا على كرامة الانسان وحريته وهي ميراثه الذي لا يمكن المساس به . »

ولكن الصياغة النهائية للبيان ـ وقد اسهم فيها اسهاما اساسيا الكاتب ابكرستاني فيض احمد فيض ـ جاءت تركيزا شديد الاختصار لهذه الافكار .

* * *

جاءت كلمة فيض احمد فيض بعد ذلك عرضا شاعريا ، من وجهة نظر تعاندية ماركسية واضحة لما يسميه « بالتراث الادبي » واليك هذه الكلمة بنصها الكامل ، نبدأ بالعرض التبسيطي التقليدي المعتاد للسوسيولوجيا الماركسانيه ، وتنتهي باعلان لتعقيده ، طيب الذكر ، في القيمه الايجابيه للادب ...

« ولد الادب عندما اضاء اول شعاع للوعي عقل الانسان الاول ويسر له فرصة التعبير .. وهكذا اتخذت صرخات الانسان في المولده وغضبه ورضاه ، صورة اصوات مناسبه لكل تجربة من هذه التجارب ، ومن ثمة ولدت وحدة الكلمة . وفي الوقت نفسه حلت التجمعات الوثيقة في شكل اسر تحتاج الى مجتمع الفعل ورده محل الوحدة التي كان يعاني منها الصياد البدائي . وهكذا ايضا اضطلعت الكلمة بوظيفة اخرى خلاف التعبير ، الا وهي وظيفة الاتصال . وعند ذلك اكتشفت هذه المجتمعات ان الكلمه ليست مجرد اداة للتعبير او الاتصال ولكن من الممكن تطويعها بحيث تؤدي ايضا وظائف اخرى عديدة . فقد اظهرت انها عامل من عوامل الانتاج بالنسبه للعمل الجماعي ، عن طريق تسهيل الحركة الايقاعيه . وكانت اداة لزيادة المعرفة من خلال تبادل الوان ملاحظة العالم المادي . وكانت دعاء وابتهالا للقوى الغامضة وغير المعروفه المتمثلة في النار والنور والمطر والرعد والتي تهيمن على الوفرة الانسانيه والعوز الانساني . كما كانت مستودعا للحوادث التي وقعت للرجال والنساء وتجاربهم المشهورة في تاريخ كل جماعة من الجماعات. وهكذا فان عملية مزج الكلمات المسماه « الادب » قد مزجت الحكم والسحر والذاكرة والالهام جميعها في وقت واحد .

« وعلى هذا النحو بقيت الكلمة وعاشت .

« ومع مرور الزمن اتحدت الاسر والجماعات في قبائل قوية واتحدت القبائل في امم . وادت سيطرة الانسان المتزايدة على الموارد المادية الى خلق فائض من الثروة وكانت الثروة تعني القوة . وعندئذ ظهر عامل جديد على سطح الوجود الاجتماعي البشري ، ـ الا وهو عامل السيطرة والاستغلال واخذت الثروة والقوة في القبيلة تسيطر على باقي اندادها، واخضعت القبائل الاكثر عددا وعدة القبائل الاخرى التي ساء حظها فانزلها الى درك اقل . وظهر الملوك والامبراطوريات وظهر معهم القسمة بين اصحاب الامتياز واصحاب الفراغ من ناحية وبين النشيطين والمحرومين من جهة اخرى . ومع هذه القسمة بدأ الادب ايضا في التحدث بلغتين مختلفتين : لغة الملوك والقواد ومن يعولونهم من ناحية، ولغة قاطني الاخشاب والسقائين من ناحية اخرى . وهذان التقليدان المتوازيان ، التقليد الكلاسيكي للبلاط والتقليد الشعبي للجماهير ، يشكلان ماضي سائر ادبنا في البلدان الافريقية الاسيوية . وفي حالات معينة لم تكن القسمة بين هاتين اللغتين مجرد قسمة مجازية بل قسمة حرفية كما هي الحال في الادب السانسكريتي والادب الباكبريتي في شبه قارتنا ، والادب اللاتيني وادب اللغات القومية المحلية في اوروبا، او الادب الفارسي او العربي وادب مختلف اللهجات الوطنية في الشرق الاوسط وآسيا الوسطى .

« وقد كانت الآداب الكلاسيكية للقدماء تنهض او تنحط حسب ثروات النظم الاقطاعية لممثليها ولكن التقليد الشعبي كان يعاني القليل من ناحية هذه الاهتزازات ويتمتع بقسط اكبر من معايير الاستمرار . وهكذا خلق ادب الماضي هذا ، سواء كان غنائيا او مواليا او بطوليا او مدائحيا ، سلسلتين متوازيتين من الكلاسيكيات : كلاسيكيات البلاط الحافظة التي الفها مؤلفون وقد حفظها الزمن جيدا ، والكلاسيكيات الشعبية التي الفها شعراء وحكماء شعبيون وقد بقيت في النسيان باستثناء قلة قليلة منها .

« ويشكل هذا الضرب المتكامل ، من الادب ، شعبيا او كلاسيكيا، جزءا من التراث الادبي للاجيال الحاضرة والقادمة . وهو ـ كما ذكرت من قبل ـ يضم الحكمة والتجربه والمعتقدات والتاريخ والاحلام والطلعات الجماعية عند اجداد هذه الاجيال . ومن ثم فهو يقدم سجلا لشخصيتها القوميه كما يقدم الدافع لاستمرار تجربتها الجماعيه .

« وبعد القرن السابع عشر ، ومع ظهور الطبقات التجارية القوية اولا ثم الطبقات الرأسماليه فيما بعد في العالم الغربي ، وما صحب ذلك من الثورات التي اشعلتها في وسائل الانتاج وعلاقاته ، بدأ عهد التوسع الامبريالي الاستعماري ، وسقطت بلدان آسيا وافريقيا واحدة وراء اخرى قبل ان ينزل على القارتين هذا الليل الوحشي الطويل لعبوديه الامبرياليه الاستعمارية . ولم يرض السادة الجدد عن الاستغلال الاقتصادي والاستعباد السياسي ترعاياهم وحدهم ، وذلك انهم ادركوا ان هذه العملية لم يكن في الامكان تحقيقها تماما بدون تدمير الثقافات القومية للشعوب المغلوبة ، وبعبارة اخرى محو الشخصيات الفردية لهذه الشعوب كوحدات ثقافية . واقتضى ذلك استئصال كل ما من شأنه ان يشكل هذه الشخصية من ادب ومعتقدات وقيم واساليب تفكير واحساس ، ولغة وعادات وجود اجتماعي . وتم ترتيب جهود محددة بهدف تغريب هذه الشعوب عن ماضيها ومسخها في صورة دمى عديمة الوجه والقلب والروح تشكل على صورة سادتها .

« ولكن انفصل الناس واشجعهم بين شعوب آسيا وافريقيا لم يقبلوا على الاطلاق ان يهزموا ، فشنوا كفاحا مريرا ضد الاستعباد السياسي والاستئصال الثقافي معا . وفي هذا الكفاح شارك الكتاب مشاركة كاملة باقلامهم كما شاركوا احيانا بدمائهم . وهكذا ظهر ضرب جديد من الادب ـ هو ادب المقاومة . وكانت مكوناته الاساسية هي :

اولا ـ اعادة اكتشاف واعادة تقييم الكتاب لتراث ماضيهم الادبي .

وثانيا ـ تصوير عذابات شعوبهم واحباطاتها تصويرا واقعيا ومؤثرا .

وثالثا ـ الاحتجاج الوحشي على هذه العبودية والاضطهاد .

ورابعا ـ الامل الحي والايمان المتوقد بمستقبلهم الحر . وفوق هذا كله الحب الفاعل لكل ما من شأنه ان يجعل الحياة خيرة وجميلة ـ اي حب السلام والحرية والعدالة الاجتماعية . ويشكل هذا الادب النصف الثاني من التراث الادبي للاجيال الحاضرة والقادمة . فهو سجل لما قامت به الشعوب الافريقية الاسيوية خلال عهد السيطرة الاجنبية وكذلك فهو ملهم لالوان الكفاح التي لم تفز بعد .

« ومنذ نصف قرن مضى ، بعد نجاح ثورة اكتوبر العظيمة ، اخذ الزحف الطويل ناحية الحرية والتحرر ينتقل تدريجيا من علامة نصر بعد علامة نصر . وصار هذا الزحف حشدا بعد هزيمة الفاشية في نهاية الحرب العالمية الثانية ، اما اليوم فقد تحررت جميع بلدان آسيا وافريقيا باستثناء بعض الجيوب القليلة ، وادى هذا الى تطور اخر . فالشعوب الآسيوية والافريقية التي طال عزلها عن بعضها البعض بالحواجز التي اقامتها القوى الامبريالية لم تكن قادرة على الاتصال والتقارب ، ثم تقاربت ووصلت الايدي بالايدي لا في الفكر فحسب وانما في التطبيق ايضا من اجل تحقيق مثلها العليا المشتركة ، وهكذا ولدت الحركة الافريقية الاسيوية . واتخذت بين كتاب هاتين القارتين شكل اتحاد الكتاب الافرو آسيويين الذي ولد في طشقند عام ١٩٥٨ . وهكذا استطاع الكتاب الافرو آسيويين اولا ـ ان يكتشفوا ويتعلموا من الجهود الابداعية لمعاصريهم في البلدان الاخرى ، واستطاعوا ثانيا ان يدفعوا بقوتهم دعما لاشقائهم الاقل حظا الذين لا زالوا رهيني المعارك الدموية في اجزاء كثيرة من العالم ، في كوريا والهند الصينية والجزائر

ـ التتمة على الصفحة ٦٥ ـ

ندوة الآداب والأجيال الجديدة

تابع المنشور على الصفحة ـ ٣٢ ـ

ومستعمرات البرتغال وروديسيا وجنوب افريقيا وفلسطين والاراضي العربية المحتلة . ولقد تحقق النصر في بعض هذه المعارك ولم يتحقق في بعضها الاخر . وهكذا حقق الادب الذي انتج في هذه الفترة اضافة قوية لاسلحة المقاتلين في سبيل الحرية في جميع هذه المعارك الماضية وهو يواصل ذلك في المعارك التي لم تزل مشتعلة . »

* * *

وكانت كلمة انانولي سوفرنوف ، تحية في بدايتها ، الى الفيليبين ، وعرضا للعلاقات الثقافية والتاريخية ، بين الاتحاد السوفييتي والفيليبين واشارة الى انجازات الادب السوفييتي وعلاقته بالآداب الافريقية الاسيوية ، ثم قدم سوفرونوف عرضا سريعا للموقف الدولي السياسي تمهيدا لبيان موقفه من العامل الثقافي في الساحة السياسية :

« ان احد الجوانب الهامة في عصرنا هو ظهور البلاد المستقلة النامية في آسيا وافريقيا على المسرح العالمي . لقد اصبحت الشعوب التي اخرجها المستعمرون من اطار التاريخ لعدة قرون ـ اصبحت تلعب الان دورا فعالا في شئون العالم . وانهارت الامبراطوريات . وتدخل دول آسيا وافريقيا الفتية مرحلة جديدة في تنميتها عندما يتحول النضال من اجل التحرير القومي الى معركة من الاستقلال الاقتصادي والسيادة الثقافية ضد الاستعمار الجديد وسياسة العدوان . وتتدعم الاتجاهات المضادة للامبريالية في سياساتها وهي تنصرف لحل مشاكلها المعقدة . وتنبعث هذه المشاكل من الحاجة الى الظهور على المسرح الاقتصادي والثقافي العالمي خلال فترة زمنية قصيرة على اساس جديد ، اساس المساواة .

« وقد تنبأ فلاديمير لينين مؤسس الحزب الشيوعي السوفييتي ان « حركة معظم سكان العالم الموجهة اصلا للتحرير القومي ، سوف تولي ظهرها في المدى الطويل للرأسمالية والامبريالية » .

« لقد كان هدف الغزو الاستعماري نهب ثروة وعمل الامم المستعبدة . وكانت الطريقة الاستعمارية للعبودية النفسية هي تحطيم قيمها الثقافية وتنمية الشعور بالنقص لدى المضطهدين ، ولذلك مضى الجهد للحفاظ على اللغات والثقافات القومية والدفاع عنها جنبا الى جنب مع نضال التحرير القومي . وطبيعي ان يتسم الادب الآسيوي الافريقي بالوطنية الحارة والتمسك بالتقاليد القومية ، ومما له دلالته كذلك ان افضل كتاب القارتين كان لهم دور مباشر في القتال من اجل الحرية ، وان كثيرا منهم ضحى بحياته من اجلها . »

« انه لمن المهم ان نقضي على الامية ونعمل على تسهيل طبع الكتب ونشرها على اتساع وباثمان معقولة . وسوف تخلق هذه الجهود الظروف الضرورية والدعامة الفنية لنشر القيم الثقافية الجديدة وصياغة النظرة الجديدة لدى الشعب .

« ومع ذلك ، يتوقف الامر كله على نوع القيم المعنية . وفي الوقت الراهن نجد ان ملايين الاميين اصبحوا يعرفون الادب ، ونتاج هذا ما تسميه اليوم بالمعاصرة . وفي ظل هذه الظروف يصبح الاستعمار الجديد بثقافته الزائفة هو العدو رقم واحد للبلاد النامية وآدابها .

« ان الاستعماريين الغربيين الجدد يسخرون كل وسائلهم الاعلامية لانشاء امبراطوريات ثقافية غير مرئية وتتلاعب بعقول وافئدة الشعوب في المستعمرات السابقة . انهم ينشرون عقائد الطبقة المختارة لمعارضة الاتجاهات الديموقراطية والافكار غير المنطقية لمحاربة الافكار العلمية من اجل نشر الياس والخنوع لقتل الارادة على القتال . والى جانب الادب الجنسي المكشوف يروجون للعنف والفردية الحيوانية ، كما يشن العدوان الثقافي الاستعماري الجديد بطرق اكثر خداعا ولا تقل عن سابقتها ضررا . وتهدف هذه الطرق اولا وقبل كل شيء ، نحو المثقفين الشبان في آسيا وافريقيا . وتتضمن هذه الطرق تزييف تاريخ وفلسفة الشرق والدعاية التي تهدف الى الاخلال بمثل الانسانية ومبادئها . وقد قالوا أن الفنان يعيش في عالم متساهل حيث يستطيع ان يقول ما يريد وان يبقى بعيدا عن اية التزامات .

« وعندما عقد الكتاب المقدميون في آسيا وافريقيا مؤتمرهم الاول في طشقند ، طرحوا فكرة وحدة الثقافة العالمية التقدمية باجمعها . وتقوم هذه الثقافة على اساس الانسانية الفعالة ورفض اية مبادىء تدعو للعزلة القومية او الدولية او العنصرية . واهم واجبات الادب اليوم هي مزج النموذج الحديث للانسان بروح الوطنية وامداده بشعور الانتماء الى انسانية واحدة لا تتجزأ كي يكون مستعدا للنضال من اجل سعادة وكرامة كل الامم . ومن الطبيعي كذلك انه عندما تستخدم تجربة كل الاداب ، الشرقية والغربية ، بطريقة خلاقة في موقف ثقافي محلي، وتمزج بالتقاليد الادبية المحلية ، عندئذ فقط تساعد في عملية الاسراع بالتقدم الايديولوجي والجمالي في الآداب الفتية .

« ان الانسانية والامية ، هما اكثر مطالب عصرنا الحاحا ، وهما ما يجب أن يضمهما الادب التقدمي في مواجهة ايديولوجية الاستعمار الجديد البالية . »

وبذلك نرى ان موقف الوفد السوفييتي ـ في هذه الندوة كما في غيرها من المجالات ـ قاطع وواضح ومحدد ، بازاء القضايا التي اثيرت وتثار دائما . وهو موقف يكاد يقترب من العقائدية لفرط تحديده وهو ايضا ترسيخ وتوطيد للافكار السائدة ، وليس مناقشة لها ..

وكانت كلمة العضوين السوفييتيين اللذين آسهما في الندوة تنمية للافكار ذاتها . اما كلمة مندوب الكونغو ومندوب بلغاريا فقد كانتا ـ على سبيل القطع ـ تقعان خارج اطار الندوة تماما ، كانت احداهما عرضا تاريخيا انبائيا للادب في الكونغو ، والاخرى عرضا دعائيا وخطابا ديبلوماسيا عن الادب في بلغاريا ..

* * *

وبهذا انتهت الكلمات والاوراق في الموضوع الاول للندوة ، اما الموضوع الثاني فقد كانت ورقة عبدالله التركيبي اكثر الوثائق جهدا في الاقتراب من موضوع « الاجيال الجديدة » وكان عرضه للموضوع يتركز في ابراز العلاقة الضرورية بين الاجيال الجديدة والسابقة ، وكانت توصياته في نهاية الورقة موضع القبول من الندوة اذ تبناها البيان العام للندوة ـ كلها تقريبا ومع تعديلات طفيفة .

وهذه مقتطفات منها :

« فالجيل الجديد من الكتاب يمثل الامل في الغد بالنسبة للاداب والشعوب في هاتين القارتين ، ومن حقه على الجيل الحالي أن يجد منه الرعاية والتفهم ، ولما كانت فكرة التضامن بين شعوبنا هي الاساس في انشاء المكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيا ، فان تحقيق هذا التضامن ينبغي أن يسهم فيه الادب والسياسة والمواقف الايجابية التي تساعد على تجسيد هذا التضامن واستمراره ، الامر الذي يتطلب العمل الجاد والجهود المتواصلة لترسيخ القواعد التي بني عليها هذا التضامن .

« وفي اعتقادي فان القاعدة المثلى لهذا كله هي تمتين الصلة بين الاجيال في القارتين ، او بتعبير اخر علينا ان نعمق روح التواصل بين الجيل الذي سبقه في ميدان الانتاج الادبي حتى لا تجمد العلاقات او تنبت الاواصر بين من عاش مرحلة الغليان الوطني وبين الطليعة الناشئة وانا اصدر في هذا عن تجربة الكتاب في الجزائر .

« فالجيل الذي حقق وجوده وبلغ اوج عطائه عاش مرحلة تتميز بالنضال ضد الاستعمار ووقف بصلابة ضد الامبريالية خاصة في النصف الاول من هذا القرن ، وعاش تجارب قد تختلف في ملامحها وظروفها وسماتها عن تجارب الجيل الجديد من الادباء ، فهذا الاخير ظهر بعد ان تحققت اهداف معظم شعوبنا في الحرية والاستقلال وفي الاشتراكية ، ومن هنا فان ظروفه مختلفة نسبيا عن ظروف الرواد. ولعل همومه ايضا تختلف نوعا ما عن هموم السابقين عليه .

« ولعل الفرق بين الجيلين يتضح في ان الجيل الرائد كافح

الاستعمار السافر الذي غزا قارتينا بجيوشه واساطيله واستغل اوطاننا بالقوة وتحكم في شعوبنا بالحديد والنار وبمنطق القوي المتفوق. بينما الجيل الجديد فتح أعينه على رحيل هذه الجيوش الغازية ولكنه في الوقت نفسه ما زال يدرك ان هذا الاستعمار الذي انحسر مده ترك آثاره وثقافته الغازية وهيمنة فكره وسيطرة حضاريه المتفوقة ، فيشعر انه يعيش معركة من نوع جديد ضد هذه الافكار كلها ويحاول مقاومتها فينتصر عليها مرة وقد يقف الطرف عنها مرة اخرى . وقد يفهم الجيل الرائد او قد ينصفه ان حكم الموضوعية في آرائه واحكامه . على ان الجيل الجديد يعيش هذه التجربة ويشاهد هذا الواقع وهو بين امرين: اما ان يجد الفرصة فيواصل النضال او تسد الطرق في وجهه فيخضع ويستسلم ويستكين للغزو الفكري الاستعماري في شكله الجديد وبذلك تهدم طاقته وتبدد جهوده وتخسر شعوبنا قوة حية بامكانها أن تسهم في تطور مجتمعاتنا وبلداننا ...

« ثم ان هذا الجيل « الجديد » يقوم بمحاولات مختلفة في مجال التعبير ويغامر في مضمار التجديد ويقوم بالتجريب سواء في طريقة البيان او تشكيل المادة وتطويع الاسلوب لافكاره الجديدة حسب رؤيته الخاصة للواقع الذي يتحرك من حوله . بل أن بعض المواهب التي تملك الاداة والكلمة تسعى للتعويض عن مضمون واسع يشمل الحياة والانسان ، لا في البيئة المحلية ولكن في بيئات اخرى كما سبق لي ان قلت .

« ومع ذلك فانا ادرك ان هناك مواهب اخرى ما زالت تتعلق بالاساليب المعروفة التقليدية ولكنها تستخدمها لتصوير الواقع والتعبير عن حركته وسيره وتعقده .

« وقد نلحظ مبالغة واسرافا واعتدادا بالنفس لدى البعض او رغبة في الظهور وتحقيق الوجود في شيء من السرعة والتعجل ، وقد نلحظ اندفاعا شديدا للامام شأن الشباب في كل جيل وعصر ، ولكننا ايضا ندرك ايمانا بالادب ورسالته ودوره في تقدم المجتمع . كما نستشف الصدق في الحس والتعبير من خلال ما ينشر من انتاج ادبي، قصة او قصيدة او مسرحية او مقالا او غيرها من اشكال التعبير الادبي والفني وحين يتوفر الصدق في الشعور والتصوير وتتاكد الموهبة فان التفاؤل يحل محل التشاؤم بالنسبة للمستقبل .

« واذا كنا نلحظ ايضا نوعا من الصراع بين الجديد والقديم او نلمح اجتهادا في الرأي والاسلوب ، فان هذا يؤكد سنة الحياة التي تصفي ما له قيمة فيبقى ، وما ليس له قيمة فيذهب ، سواء كان ذلك في الادب او في غيره، وسواء كان الامر يتعلق بالجيل الجديد من الادباء او الجيل السابق او غيرهما من الاجيال الاخرى .

« ومن حق الشباب ان يثور ويجرب ، ومن حقه على الرواد ان يجد الرعاية لفائدة الادب والحياة والتقدم . من حق الطلائع ان يكون لها حق الجرأة في التجربة ، ومن حقها ان تحترم تجاربها وتقدر وان تجد التعاطف معها والرفق بها ، وليس من حق الاخرين ان ينصبوا انفسهم مرشدين او ان يستعملوا روح الوصاية ويتخذوا منها ذريعة للتحكم في الحركة الادبية واحتكارها . ان التعاطف مع هذه الطلائع هو الذي يخلق الحوار بين الاجيال ويساعد على الوحدة والتواصل الذي نطمح الى استمراره لا بين الاجيال فحسب ولكن بين قارتينا ، وبين كل انسان يعيش واقعا متشابها مع واقعنا وظروفنا ومطامحنا ».

ولم يفت الكاتب ان يجد التطبيق الضروري لافكاره على تجربة الادب الجزائري فاشار الى ذلك اشارات موحية ..

ليس لي الا تعليق عابر على هذا البحث الذي ينضح فيه جهد الاقتراب من موضوع الندوة ، جهداً محمودا ، ذلك انني احسست ـ رغم كل النية الطيبة ـ بالنغمة الابوية ، والحس المستخفي بالوصاية بازاء ادب الشباب ، ولست في الواقع اعرف شيئا اسم « ادب الشباب » ، فمن اعظم الروائع الادبية ما كتبه « شباب » في العشرينات والامثلة كثيرة ومشهورة ، والادب اما « ادب » او « لا ادب » اما نتاج عظيم وجيد واما شيء لا يمكن وصفه باحسن النسبيات الا بانه (ادب سيء).

وقد كانت هذه النقطة بالذات من نقط المناقشة الحامية التي اثارها الدكتور سهيل ادريس في لجنة الصياغة للبيان العام ، وكان الكاتب اللامع الذكي الذي جاء الندوة من سنغافورة وهو الدكتور جوه بوه سينج ، في كلمته الحية المثيرة التي القاها في الجلسة العامة الختامية للندوة ، قد شارك الدكتور سهيل ادريس الرأي .

وردت الدكتورة سهير القلماوي على هذا الاتجاه بان المقصود هنا شيء مختلف تماما عما كان يحدث في القرن الثامن عشر او التاسع عشر ، وان القرن العشرين قد شهد شيئا جديدا هو كتابات شباب ما قبل العشرين من العمر ، وان لهم اسهاما خاصا ينبغي الاحتفاء به ورعايته وتقييمه ، وليس هو الادب الناضج الكامل الذي قد ينتجه الاديب الشاب العبقري ، بل هو ذلك النوع من الكتابات الذي يقع بين ادب الاطفال وبين الادب المكتمل الذي تحققت له خصائص العمل الفني الجيد ، وان ثمة حاجة حقيقية للعكوف على مثل هذه الكتابات وتشجيعها واتاحة السبل للكشف عنها وتنميتها في الاتجاهات التي نراها صحيحة وسليمة . وهي فكرة خصبة بالطبع وان كان موضع المناقشه هنا هو ايضا تلك النغمة « الابويه » التي سنخفي وراءها. اما كاتب هذه السطور فيحس حرجا من هذه النغمة ، بل خطرا فيها، فما من فنان حق بحاجة الى وصاية او توجيه ، وفي ظني ان من اسرار الابداع الفني الحق والموهبة الفنية الاصيلة مقدرتها على مواجهة التحديات وعلى تحدي المواجهات ايضا ، اي بالتحديد مقدرتها على ان تشق طريقها ، بحساسيتها الخاصة ، وصلابتها الداخلية الخاصة، في غابات الواقع الخارجي التي تكمن فيها ايضا شراسة ضغوط « الاباء » « ورعايتهم » ، « وتوجيهات » القدامى ، مهما كانت ناعمة وطيبة النوايا .

★★★

لم يبق امامي الا ان اقدم الورقة التي كتبتها الدكتورة سهير القلماوي تحت عنوان « ثقافة الجيل الجديد » وهي تنصب اساسا على ادب الاطفال ، وعلى مقترحات بناءة تدخل في مجال « صناعة » هذا الادب للاطفال ، والاخطار التي يتعرض لها في عالم معقد تجيش فيه التيارات وتتضارب التاثيرات .

« تكمن اهمية هذه الندوة ، لا في موضوعها فحسب ، بل تتخذ اهميتها من كونها ضرورة ملحة لحل بعض المشاكل المتقدة التي تواجه مستقبل تضامننا ، ان نضالنا يواجه العديد من القوى المضادة للانسانية وكذلك الكثير من الاسلحة الجديدة ، وعلينا ان نمحص ونعيد تمحيص اهدافنا وادواتنا والخطوات التي قطعناها بالفعل .والحقيقة الكبرى التي يجب علينا ان نعيها دوما هي ان نضالنا يجب ان يستمر لجيل قادم على الاقل .

« ومن اجل هذا الجيل الجديد نجتمع هنا ..في مانيلا .

« ان الطفل اليوم لا يستطيع مواصلة تحصيل العلم والثقافة الضرورية بنفس الطريقة التي اعتادها اجداده . لم يعد البيت مصدرا للمعرفة . اصبحت كل عمليات الانتاج تتم الان في المصانع . ولم يعد بمقدور الطفل ان يتعلم شيئا عن عملية الخبز والنسيج والتمريض والحياكة وغيرها مما اعتاد رؤيته او المشاركة في صنعه في قديم الزمان . ولم تعد الحياة خارج بيته ومدرسته محدودة او بسيطة . لم تعد واضحة او مفهومة . انه يخرج من كليهما، يتحرك، ويرحل الاف الاميال ويرى العالم ويقترب منه في الكتب وعلى شاشتي التليفزيون والسينما .

« ان للصغار شغفا دائما بالمعرفة ، يتعلمون بسرعة وغالبا

ما يسهل التأثير فيهم . وعلينا ان نهيىء جيلا جديدا يعي مشاكل المواقف ، والفائدة والمكاسب التي يمكنه الحصول عليها عن طريق التضامن الذي يستطيع تحقيقه والنظرة الواضحة لمستقبل البشرية كما يمكننا ان نراه .

« ان طوفان المواد الثقافية الذي يصب في عقول شبابنا واطفالنا وقلوبهم ضخم وتقدم له الاشياء المادية المحيطة مساهمة كبيرة فيذلك عن طريق الالات التي يستخدمها والسيارات التي يركبها والاشياء التي يستعملها . وهذه الاشياء ان لم تكن منتجة محلية ، فانها تحمل معها فكرة تفوق دولة اخرى ، واذا كانت هذه الدولة في العادة دولة امبريالية كان الانطباع غير المحسوس غير صحي على الاطلاق »

« واذا ما تحدثنا عن الثقافة ، وهي موضوعنا في هذه الندوة، فاننا نأتي الى اخطر النواحي في اعلام اطفالنا وشبابنا . ان الصراع بين التراث القومي والقيم القومية الموجودة وما نسميه بحق الثقافات الغازية صراع معقد وصعب . وعبثا نحاول ان نفرض على اطفالنا ما يجب عليهم ان يتقبلوه وما لا يجب . وان للاطفال شغفا بالمعرفة ولكن لهم طريقتهم في الاختيار ، وهم يحبون ممارسة ارادتهم الخاصة . وما يحصلون عليه في النهاية هو ما يروقهم ويجذبهم .

« كيف يتسنى لنا ان نجعل قيمنا وثقافتنا القومية واهدافنا في الحرية والسلام ونظرتنا الى هذا العالم الذي نعيش فيه جذابا ومشوقا بالنسبة لاطفالنا ؟ واذا ما نحينا ثقافة ميكي ماوس والرجل الوطواط وجيمس بوند وسوبرمان وما شابهها ، فماذا نعطي الطفل بدلا منها ؟ وهل يروق هذا البديل للطفل ؟

« اننا في مصر نواجه هذه المشكلة منذ عشر سنوات على الاقل. وقد دعونا اخواننا العرب لكي نعمل معا . وعقدنا ندوتين عربيتين ، محليتين احداهما عن برامج الاطفال في التليفزيون والاذاعة ، والاخرى عن كتب ومجلات الاطفال في العالم العربي . وعقدت ندوتان اخريان احداهما عن برامج السينما والمسرح المصريين للاطفال،والاخرى عن مضمون ثقافة الطفل العربية . وعقدت كذلك ندوات أخرى في بيروت والكويت وغيرها من انحاء العالم العربي لمعالجة المشكلة ذاتها .

« وقد نوقشت مشاكل اخرى الى جانب مشاكل التقليد وتدفق المواد الاجنبية ، ومشاكل اللغة ، والقيم والموضوعات القومية والدينية وفنون وسائل الاعلام .

« ومن واقع خبرتي في هذه الاجتماعات التي حضرتها وراست معظمها ، كانت المشكلة الرئيسية هي كيف يمكن اعداد الخبراء القادرين على خلق المادة الجذابة ونقلها الى اطفالنا والناشئة .

« ان الموضوع يحظى بابلغ الاهتمام في كل انحاء العالم .وتوجد دور نشر خاصة في الاتحاد السوفييتي مثل ديتسكايا ليتراتورا ، وفي ايطاليا نجد الكابيتول الى جانب ما يوجد بالفعل من فرق عديدة متخصصة تجتمع لتاليف دوائر المعارف وكتب المعرفة والافلام وبرامج التليفزيون والاذاعة لتوزيعها في كل أرجاء العالم . وتوجد بالفعل بعض الوكالات المتخصصة في الافلام العلمية للاطفال . ونحن ناخذ هذه ونستخدمها على نطاق واسع ، دون ان نفرق بينها احيانا ،ونعتقد انها آمنة دائما لانها علمية ، والتسهيلات التي تقدمها الدور الغربية لنقل هذه المواد لاطفالنا مشجعة بل انها مغرية .

« ماذا نفعل ؟ هل نواصل النضال من اجل العدالة والسلاموندرك اطفالنا بلا استعداد لاداء مهمة المستقبل الشاقة في هذا النضال الصعب ونتركهم ليعيشوا امما مستغلة تطأها اقدام الامبرياليين الرهيبة ..

« ان علينا ان نقبل التحدي كله بما يليق به من وعي وجدية . ان باستطاعة كتابنا ان يحصلوا على التكنيك . ويمكن ان تلتقى فرق العمل . يستطيع العالم القادر على التبسط ومعلم الطفل وعالم النفس والمدرب وخبير وسائل الاعلام الجماهيري ، يستطيعون جميعا الالتقاء بالكاتب والفنان لانتاج المادة الثقافية التي تنقل الى اطفالنا ، المادة الثقافية التي تساعد اطفالنا وشبابنا على معرفه دورهم القادم الذي يمنحهم ايمانا راسخا بأمتهم ايمانا بان مواردها ملك لهم وانهم هم الذين سيستخدمونها ولن يستغل امتهم احد كما استغل الرأسماليون الطبقة العاملة بل كما لا يزالون يفعلون في بعض اجزاء العالم .

« يجب ان ينمو أطفالنا وشبابنا ليصبحوا افضل العلماء ، وافضل الفنيين في اي مجال لانهم سوف يخدمون عن جدارة النضال النبيل الذي يتعين على جيلهم مواصلته .

« وينبغي ان نؤكد عزمنا في نضالنا ووحدتنا على تعليم وتدريب خيراء ثقافة الاطفال . ويجب دائما ان نعد افضل الفنيين في اي مجال ونقرب بينهم في عمل تسوده روح الفريق حتى يتاح لاطفالنا افضل بديل للثقافة غير الصحية التي يتعرضون لها حاليا .

« ودعونا، ابتداء من هذه الندوة فصاعدا ، ان نعبيء كل طاقاتنا لتحقيق هذا الهدف ، ولنعط لصغارنا الامل والوسيلة ليعيشوا في عالم افضل ، عالم لا تمنعه لهم ملائكة الخير والرحمة ، بل عالم يجب عليهم ان يبلغوه بنضالهم المتواصل وايمانهم المستمر بالانسانية والقيم الانسانية ، عالم العدالة والسلام » .

* * *

اما الورقة الاخيرة التي اعرض لها ، بمجرد الاشارة الوصفية ، فهي ورقة عبدالتواب يوسف من مصر ، وهي ورقة متخصصة في ادب الاطفال ، تاريخه وتطوره ودوره في البلاد النامية ، ودور اجهزة الاعلام بالنسبة له ، وعرض لاوضاعه وتاريخه في البلاد العربية ، وتناول لمضمونه من حيث ضرورة ابراز قيم « الالتزام » والقضايا الوطنية والانسانية والصراع ضد الاستعمار والامبريالية والعنصرية فيه ، وتوكيد لاهمية « الخيال » وموارد المواد الخيالية فيه ، وهو ينهي ورقته على النحو التالي :

« ان علينا ان ندرك ان العمل الواقعي ليس سوى ثمرة خيال ، واننا حين نقدم عملا واقعيا لا نقدمه كما هو وكما حدث تماما ، فالفنان ليس آلة تصوير تنقل ما امامها ، انما الفنان يقدم «رؤيا» واقعية سواء امسك بالفرشاة او القلم ، وهو لا ينقل ما يراه وما يجري تحت ابصاره بل يلتقط منه ما يعبر به عن وجهة نظره وما يراه وقعا للوجود على الوجدان ، وتصوير احاسيس الفلسطينيين لا يحتاج من الكاتب ان يكون فلسطينيا فقد داره وبيارته وبيته ، انما هو يتقمص دوره ويشعر بمشاعره ويعبر عنها .. ان المهم هنا هو نقل التجربة .. وبالذات في مجال الاطفال .. سواء اتجهنا في هذا الى قصص البيولا ، اي قصص الحكم المروية على السنة الحيوان، او الى الحكايات الخرافية الشعبية أو الى الاساطير القديمة او خلقنا اعمالا خيالية جديدة في مجالات ميتافيزيقية او علمية .. المهم في كل ذلك ان يكون ما نرويه اطارا للتجربة متسقا معها شكلا ومضمونا ملتحما بطريقة مقنعة ومثيرة ، والخيال هنا هام وضروري لتاكيد ما هو واقع ، ولا بد منه لاختيار الاسلوب والشكل المؤثر والناقل للفكرة. ان للخيال هدفه وللواقع هدفه . وهما معا ضفيرتان نجدل منهما

حياة الطفل ونفسيته . أن النمو العقلي غير كاف اذا لم يصاحبه النمو الوجداني وكلاهما يحتاج منا الى جهود حقيقية ، تبذل في سخاء لبناء ابنائنا .»

وفي نفس هذا الاتجاه المتخصص قدمت الكاتبة سيريس الابادو من الفيليبين بحثها ، وقدمت لنا عرضا شائقا وتفصيليا لادب الاطفال في الفيليبين ، وهو بحث مكانه في الواقع ندوة متخصصة عن ادب الاطفال، بينما كنا قد رأينا ان ندوتنا في الفيليبين لم تكن هذه الندوة، او على الاصح لم تتخصص في هذا المجال ، واكتفت بان تتناول جوانب عامة عن ادب الاجيال الجديدة « وان تمس ايضا عناصر عامة في الثقافة والادب ، لا تقتصر على الاجيال الجديدة ، بل يصح علاجها في ادب كل جيل ، وان كانت الاضواء هنا ، بحكم الضرورة والواقع، تتجه الى مشاكل الادب فيما نسميه « بالعالم الثالث » .

هذه الاتجاهات هي التي عبر عنها البيان العام للندوة ، وهو وثيقة هامة ـ باي معيار ـ في تطور حركة الادب الافريقي الاسيوي :ـ

* * *

« البيان العام »

« ان افضل الابداعات الادبية والفنية يتجاوز حدود السن والزمان والمكان . ولكن الادب يعتمد في ثرائه وتجدده على انتاج الجيل بعد الجيل . وانطلاقا من هذه الحقيقة اختير موضوع « الادب والاجيال الجديدة » ليكون الموضوع الرئيسي للندوة الرابعة لكتاب الافرو اسيويين المنعقدة في مانيلا في الفترة من ٣١ يناير الى ٢ فبراير سنة ١٩٧٥ استجابة لدعوة اتحاد الكتاب الفيليبينيين .

« وقد حضرت الندوة وفود ومراقبون من ٢٦ بلدا اسيويا وافريقيا بالاضافة لبعض الكتاب المعروفين من اوروبا واستراليا والولايات المتحدة الامريكية . كما مثلت منظمة الوحدة الافريقية في الندوة . وقد ناقشت الندوة دور الادب في تضامن السلم العالمي والنضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية . وأكدت على اهمية الادب كعامل ايديولوجي اساسي في تحقيق الوحدة الوطنية والتحرر الوطني ، وحق تقرير المصير ونهضة الشعوب الافرو اسيوية . وفي هذا الخصوص اولت الندوة اهتماما خاصا لدور الجيل الصاعد من الكتاب والقراء والادب الذي ينتجه او ينتج من اجله .

« وأكد المشتركون في الندوة على ان العمل الادبي يتصل اتصالا عضويا بالنضال الانساني الدائب من اجل الحرية والعدالة والحياة الكريمة . ومن ثمة فان كفاح المحرومين والمستعبدين في الاقطار الافرو اسيوية ضد قوى الامبريالية والاستعمار بكافة اشكالهما ،وضد التمييز العنصري والتعصب الضيق والنعرات الوطنية يجب ان يتضمنه الادب المعاصر الجديد ، ولا سيما الادب الذي تبدعه الاجيال الصاعدة او يبدع من اجلها .

« ان هذا النضال قد اتخذ اليوم ابعادا جديدة كجزء لا يتجزأ من نضال الشعوب الاسيوية الافريقية من اجل بناء مجتمعاتها على اساس عادل متكافيء لتاكيد سيادتها على مواردها الطبيعية ومن اجل تطورها الاقتصادي والاجتماعي لحماية ثرواتها القومية من الاستغلال الاجنبي وتدعيم روابط التضامن والتعاون بينها .

« ومن ثمة فقد ساندت الندوة المواقف التي اتخذتها حركة الكتاب الافرو اسيويين في :

* مساندة شعب فيتنام في نضاله البطولي ضد العدوان الامبريالي وشعب لاوس وكمبوديا في سبيل السلام العادل والدائم .

* مساندة نضال الشعوب العربية ضد الصهيونية المؤيدة من الامبريالية العالمية من اجل تحرير كافة اراضيها المغتصبة ، وكذلك نضال الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ـ الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني في نضاله من اجل عودته وتقرير مصيره وحقه في اقامة دولة علمانية ديمقراطية على ارض اجداده .

وفي هذا الخصوص تلاحظ الندوة ان حرب اكتوبر قد دللت على التحام التحرر العربي المسلح بالحركة العالمية المعادية للامبريالية .

« وتشجب الندوة التدخلات الاسرائيلية المسلحة المتكررة في جنوب لبنان وعدوانها العسكري والثقافي ضد مصر وسوريا ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين .

* تاكيد تضامننا مع المناضلين في غينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر وموزمبيق وانجولا ونرجو لهم النجاح في زحفهم في سبيل الاستقلال الوطني الكامل .

* تاكيد مساندتنا للمناضلين في زيمبابوي وجنوب افريقيا وناميبيا في نضالهم ضد الاضطهاد العنصري غير الانساني الذي يجب ان ينعذب به ضمير البشرية بأسرها وان يتحمل مسئوليته .

* شجب الجرائم التي ترتكبها العصابة الفاشية في شيلي والتدخلات الامبريالية في اقطار امريكا اللاتينية .

* تاكيد ضرورة التحالف بين حركات التحرر الوطني وشعوب البلاد النامية ، والقوى الديموقراطية والتقدمية في العالم الغربي والبلدان الاشتراكية .

« وقد رأى المشتركون في الندوة ان الكتاب في اسيا وافريقيا يجب ان يسعوا في سبيل تضمين العناصر التقدمية داخل تراثهم الادبي من ناحية ومن الناحية الاخرى ان يسعوا في سبيل اثراء ادبهم بالتجربة والتقنية المعاصرتين لمواجهة تحدي التقدم العلمي والتكنولوجي .

* تطوير روح المبادرة والعمل الايجابي والتفاؤل والفرح بالحياة بكافة الوسائل التكنولوجية وذلك من خلال الكلمة المطبوعة والمذاعة والمرئية في التليفزيون والسينما ومن خلال رفع المستويات الجمالية ورفع مستوى المضمون الذي تقدمه كافة الوسائل الاعلامية .

* توسيع مجال النشر والطبع والتوزيع وفي الوقت نفسه حماية التقاليد الادبية والادب الشعبي التي تناقلتها شعوبنا من جيل الى جيل .

* توعية شعوبنا بالاسباب الحقيقية والموضوعية التي تكمن وراء الفقر والحرمان الثقافي كنتيجة لسنوات السيطرة الاستعمارية المظلمة الطويلة التي لا زالت مستمرة حتى وقتنا هذا باشكال متعددة، وفي الوقت نفسه كشف النقاب عن الثروة الطبيعية والروحية لشعوبنا التي تعتبر الوريث الشرعي لهذه الثروة .

* تنمية روح التعاطف والتعاون بين كافة الشعوب ومواجهة المؤثرات الضارة التي تشيع الكراهية والعنف والانحلال .

* التاكيد من جديد على حق الكتاب في كل مكان في حرية التعبير الذاتي الخلاق البناء وادانة جميع محاولات قمع الحرية .

وتوصي الندوة بما يلي :

اولا ـ انشاء مجلة مخصصة لادب الاجيال الجديدة في القارتين

بحيث تقوم بنشر وتقييم كتاباتهم ، وكخطوة اولى تشجيع مجلة لوتس على تخصيص جزء لادب الاجيال الجديدة .

ثانيا ـ تشجيع ترجمة ادب الاجيال الجديدة لتسهيل تبادل هذه الترجمات بين البلدان الافريقية والاسيوية وخلق القنوات المتخصصة القادرة على تحقيق هذه المبادلات .

ثالثا ـ تنظيم الندوات وحلقات البحث تحت رعاية اتحاد الكتاب في اسيا وافريقيا ، لتمكين الكتاب الشباب من الالتقاء ومناقشة مشاكلهم وتبادل تجاربهم وخبراتهم .

رابعا ـ متابعة التوصيات والقرارات التي تم اتخاذها في المؤتمرات التي عقدها اتحاد الكتاب الافرو آسيويين والتي تتعلق بالكتاب الشبان ولا سيما المتعلقة بالجوائز والمنح الدراسية والزيارات التي تنظمها البلدان الافريقية والاسيوية والاشتراكية .

خامسا ـ انشاء لجنة خاصة لادب الاجيال الجديدة في اطار المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين .

سادسا ـ تكليف المتخصصين الاسيويين الافريقيين في الادب ومختلف الميادين العلمية اعداد وتطوير المادة المناسبة للاطفال والاجيال الجديدة .

« ومن هذا المنطلق ترى الندوة ان الادب الحق الاصيل ، سواء أكان ادب القدامى او ادب المحدثين وأيا كان قالبه الفني واداته التكنيكية يتضمن كل الكتابات التي تثري العقل البشري . ويزود الاجيال الجديدة بمرآة للذات وهو شريعة للايمان العقلي بالانسانية والسلام والحرية والعدالة ، ومناخ للحساسية والشعور المرهف بالالم الانساني والمعاناة الانسانية ، وصرخة مدوية للقتال ضد القسوة والقمع والقهر ، وكنز من الاغنيات الرقيقة التي تشدو بالمحبة والحنو والجمال والحق » .

قرىء هذا البيان العام في الجلسة الختامية للندوة ، التي انعقدت في قاعة الاجتماعات في فندق « نابونج فيليبينو » اي « القرية الفيليبينية » وهو الفندق الباذخ الذي اقمنا فيه وعقدنا فيه ندوتنا على مبعدة دقائق من المطار . وبالتصفيق الجماعي تم اقرار البيان العام ، والقى ادريان كريستوبال كلمة هزت المشاعر ، دعانا فيها الى « ان نمضي ونكتب ! فهذه هي مهمتنا الحقيقية » . وكان قد اشار الى الامسية الشعرية التي انعقدت في قلعة سنتياجو ، بين جدران الاطلال الباقية من طغيان الاسبان ووحشية اليابانيين . تحدث كريستوبال عن القصائد التي القيت وخص بالذكر منها قصيدة معين بسيسو التي اسماها حوارا بين الحب والموت ، ومرة اخرى في الجلسة الختامية اثبتت فلسطين وجودها عندما قال كريستوبال : « ان الكتاب الفلسطينيين يعرفون الموت والحب كما لا يعرفهما الا القلائل منا ».

القاهرة — ادوار الخراط

الفكر العربي
في معركة النهضة
تأليف الدكتور انور عبدالملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تفيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب ، الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتثان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية ، اوامية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » . ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب — الثمن ٨٥ قرشا لبنانيا